مقرر ديانة مصرية (٤) – الفرقة الرابعة
قسم الآثار المصرية – كلية الآثار جامعة سوهاج

المحاضرة السادسة

الآخِرة والحساب فى الفكر المصرى القديم

الموت:

أحبَ المصرى القديم حياتَهُ الدُنيا، وتعلق بها لأبعدِ مدىً، فكانَ دائماً يرفُضُ الموتَ، وإن كان قد قَبِلَهُ تسليماً بحدوثِهِ فى الحياة الدُنيا، فهو سُرعان ما يُلِحُ ويؤكدُ أنه لن يموتَ مرةً ثانيةً ، حتى لا يُحرمَ النعيمُ المقيمُ فى الآخرة. فلقد أبرَزَت المصادر المصرية القديمة نوعاً من الثورة الكبيرة ضِدَ الموتِ نفسهِ، باعتبارهِ بدايةَ دخولِ هذا العالمِ المجهولِ، إلى حدِ أن النصوص تُظهرهم وكأنهم قد اعتبروا الموتَ فى حَدِ ذاتِهِ مذلةً ومهانةً، بحيثُ أنهم ماتوا طِبقاً لرغباتِهِم وكذلك بُعِثُوا طِبقاً لها ، دونما أىَ إكراهٍ أو إجبارٍ. أما البعثُ فلاريبَ كانَ هو أساسُ الفكرِ الدينيِ المصرىِ القديمِ ، ويُمَثِلُ إلى جانبِ الخلودِ أهمِ وأبرزِ ما كان يشغلُ أفئدةَ المصريينَ القُدماءَ إبان الحياةِ الدُنيا، وهو الأمرُ ذاتُهُ الذى كانَ لهُ أبلغُ الأثرِ فيما وصل إلينا

من منتوجِ الحضارةِ المصريةِ القديمةِ. والبعثُ هو عمليةُ الإحياءِ بعد الموتةِ الدنيويةِ الأُولى، ويرتَبِطُ بالعالمِ الآخر.

المحاكمة فى العالم الآخر:

محاكمة الموتى وأن كانت قد تبلورت فى شكلها النهائى فى " الفصل ١٢٥ من كتاب الموتى "، فإنه قد سبقتها دونما ريبٍ عدةَ مراحلٍ للتطورِ ، ففيما قبل عصر الدولة القديمة كانت الحياة فى العالم الآخر استمراراً وتواصُلاً للحياةِ على الأرضِ وتُمنحُ بواسطةِ الملكِ ، الذى كان تجسيداً للمعبودِ على الأرضِ ، أى أنهم بطاعَتِهِم لملوكِهِم كانوا يظنون أنهم قد أدَوا ما عليهم تجاهَ الأربابِ ، وأنهم سوف يُحشرون مع مليكِهِم الذى حرصوا على أن يُدفنوا بجوارهِ ، ليَحظَوا بأسمى الدرجاتِ فى الآخرةِ .

عصر الانتقال الأول على سبيل المثال ومن التعاليم الموجهة إلى" الملكِ مريكارع " نلحظُ حُضورَ تلك الفكرةَ بصورةٍ صريحةٍ ، حيث برزت عملية الربط بين نمط أو أسلوب حياةِ الفرد الدُنيويةَ ، وبينَ قَدَرِهِ بعد الموت فى الدارِ الآخرةِ .

فلقد نشأت فكرة وجود محاكمة فى العالم الآخر بالأساس حتى يُجازىَ من خلالها المُسىء على إسائته ويُكافأُ المُحسنُ على إحسانِهِ ، وكما هو معلومٌ أوردت المصادر المصرية القديمة كماً هائلاً من النصوص والمناظر التى تتحدث عن قيامةِ الفرد ، وبالأَحرىَ حسابَهُ الأُخروى بعد الموتِ فى العالمِ الآخر.

الماعت:

الماعت (الدين القويم) كانت هى المعيار الرئيسى للفصل بين الحقِ والباطلِ فى السلوكِ الإنسانيِ لدى المصريينَ القُدماء منذ أقدمِ عصورِهِم . وهذه العدالة تم ترسيخها بواسطة الإله فى وقت التكوين (الخلق) ، كما أن إمكانية نشرها فى كل مكان قد تم توحيده بواسطة الإله من خلال البصيرة والخبرة أو التجربة ، فأصبح الناس مسئولين عن تصرفاتهم ومدى علاقتها أو التزامها بالعدالة من عدمها أمام ذلك الإله ، فهو الذى يُكافئ ويعاقب فى تلك الحياة وفى الحياة الأخرى كذلك . تشير التعاليم الموجهة للملك مريكارع إلى أن هذا الإله هو

رع . ومن ثَمَ نشأت فكرة وجود محاكمةٌ فى العالم الآخر ، يُجازَى من خلالها المُسىءُ على إسائتِهِ ، ويُكافأ المُحسنُ على إحسانِهِ.

فلقد حَرَصَ المصريونَ القدماءُ على تحقيقِ الماعت ، نظراً لأن حياتَهُم كانت تُقاسُ من خِلالِها ، مما يُوضِحُ لنا أن هذا المعيار كان يشملُ بالطبعِ تحقيق العدالةِ فى الحياةِ الدنيا

فلا ريبَ أنَ المصريينَ القُدماء كانوا من أكثرِ شعوبِ العالمِ القديمِ إجلالاً للعدالةِ " ماعت " الدين القويم ، وحِرصاً على تحقِيقَها ، فليس للمرءِ ما يُضِيفُهُ فوق ما ذَكَرَهُ المصريونَ القدماءِ من أن الماعت قد جاءت من قِبَلْ السماء ، ثم ارتبطت بأولئك الذين يعيشون على الأرضِ منذُ عصر المعبودات البدائيةِ الأولى . كما كان القضاة يرتدون شكلاً للربةِ ماعت تتزين بهِ أعناقِهِم ، فضلاً عن ظهورِ علامةِ الماعت هذه على الأزياء العادية الخاصةِ بالأفرادِ .

jr swt jwtj rX.f sw3 w3wt jptw jT3.f m o3bt mwt S3t[.f] m jwtj swt m3o.f Dt

" أما عنه ، ذلك الذى لا يعرِفُ[كيف] يعبرُ تلك الطرق فإنه سوف يسقُطُ [يؤخذ بـ] آلامِ الموت ، كما أن مصيرَهُ سوف يُصبِحُ كمن لم يكُن لهُ عدلٌ قط " .

القلب:

أما القلب فقد كان _ طبقاً للمعتقد المصرى القديم _ العضو الأساسى الذى تنبعث منهُ الانفعالات والطاقات والأفعال ، سواءً فى الحياة الدنيا أوفى الآخرة. كما أن القلوب كذلك كانت فى المعتقد المصرى القديم ليست من خواصِ البشرِ فحسب ، بل شملت المعبودات أيضاً، ومن ذلك: " إننى من أولئك الذين يستجدون عطف المعبود ، وكُنت فى قلبه " ، كدلالة على تقبل المعبود وحبه للشخص. فهذه الجملة وبجانب ما تحويه من سمو فإنها تشير إلى تصور المعبودات فى صورة بشر، كما أنها تشير إلى وجود القلب كحاسة فى تكوين المعبودات.

كما أدرك كتبة " كتاب الموتى " خطورة هذا الأمر ، فكثيراً ما ورد فى هذا الصدد عبارات: " إنه (أى قلبى) لن يُفصح عما اقترفته ". يُضاف إلى ما سبق، ما يراهُ " زانديه " أن ظهور القلب فى إحدى كِفتى الميزان ليوزن أمام رمز الحق ماعت، يُعد فى حد ذاته تهديداً خطيراً، لما لهذا العضو من دور فى تحديد مصير المتوفَى، فإن أخفق وزنه فسوف يكون مصير المتوفى الهلاك السرمدى. ومهما يكن من أمرٍ فإنه لم يرد إلينا حتى الآن نص يذكر حالة فعلية يُفصح فيها القلب عن معائب سيده .

المكان الذى تنعقدُ فيهِ المحاكمة:

بالنسبةِ للمكانِ الذى تتمُ فيهِ محاكمةُ الموتى فى العالم الآخر، حتى وإن كانَ من العسيرِ التكهن بموضِعِهِ بالتحديد، وِفقاً للمُتاحِ من المصادرِ المصريةِ القديمةِ حتى الآن، فلاريب أنهم آمنوا بأنهُ مكانٌ يغشاهُ الخوفَ والهَلَع، تتخللهُ أحداثٌ المحاكمة المصيريةٌ والمُفزعةُ، والتى رسخَ فى أذهانَ المصريينَ القُدماء أنها قطعيةُ الحدوثِ، بعد انتقالِهِمُ إلى الدارِ الآخرِة، فخِلالِهِ يسودُ الصمتُ والترقبُ، وتُوَقَّعُ العقوباتِ الدمويةِ المُتنوِعة، ما بينَ الذبحِ وتقطيعِ الأوصالِ، وإحراقِ الأرواحِ والظلالِ، وكذلك انتِزاعُ القلوبِ، وغيرِها من العُقُوباتِ الدَمَوِيَةِ والنارية التى توقعُ بحقِ المُدانينَ وغيرهم من الشياطين عَقبَ المحاكمةِ.

اعتقد المصريون القدماء منذ بداية التاريخ المصرى القديم أن المعبودات تُحركها غرائزها وتكبر وتموت مثلها مثل البشر. ثم بتطور الدين اعتقدوا بعد ذلك – بشكلٍ أو بآخر – أن أجساد المعبودات فقط هى التى تموت، ومن ثم أوجدوا بذلك مكاناً تذهب إليه أرواح المعبودات مثلما أوجدوا مكاناً تذهب إليه أيضاً نفوس النساء والرجال الموتى .

وأياً ما كان الأمرُ فإن المصادرَ المصريةَ القديمةَ كثيراً ما أشارت إلى العالم الذى تذهبُ إليهِ نفوسُ النساءِ والرجالِ الموتى بِعدَةِ مسميات، ومن أبرزِ تلك المُسَمياتِ كان " الدوات " *dw3t ∇ϒ∃ⲯ.*

وكان أكثر العوالم انتشاراً أيضاً هو ∇ϒ | *jmntt* 1 " إمنتت " الذى يعنى المكان المُختفى. ويبدو أنه كان فى الأصل مكان رب أبيدوس المحلى حاكم عالم الموتى " خينتى إمنتى "، وعندما أفَّلَت أهمية هذا المعبود بظهور أوزيريس، خلع على القادم الجديد نفس ألقابه .

كما توجد تحت الأرض منطقة " نون " – المياه الأزلية – ⌡ ℗℗ *Nwn* التى تسمى أحياناً فى ترجمتها " آبيس " بمعنى " هوة سحيقة "، وذلك نظراً لعمقها اللامحدود، وتلك المياه الأزلية تملأ جنبات العالم الأرضى .

لكن لا ريبَ أن العالم الآخر " دوات " يُعد أهم وأشهر مكونات العالم الآخر. وكان هناك ميل إلى الربط بينه وبين النجوم، فغالباً ما تظهر كلمة " دوات " بعلامة النجمة ، أو نجمة داخل حلقة أو دائرة .

فى المحاضرة التالية:

الاعترافات الإنكارية:

عملية وزن القلب:

المصير:

الأبرار مصيرهم النعيم والخلود:

المُدانون مصيرُهم العذاب والفناء: